صكة ربط الأفكار

١٤ مشكلة

فقه العواقب "الدراسات المستقبلية" والدور الحضاري للأمة الإسلامية في ضوء السنن الربانية

الكلمات المفتاحية: الدراسات المستقبلية،الغيب،فقه التوقع، السنن الربانية، المفتي

- ملاحظة: في قول الله تعالى: "عالم الغيب والشهادة"
الواو هنا واو العطف - وهي تقتضي المغايرة وهي تعطف شيئاً على شيء
فلما تقول جاء زيد وعمرو - فلا شك أن حقيقة زيد تختلف عن حقيقة عمرو
وهما - بطبيعة الحال - ليسا حقيقة واحدة. ولا يتصور عقلاً فضلاً عن أن
يكون من أساليب العرب أن زيداً الشخصين شخص واحد، وهكذا قل
في عالمي الغيب والشهادة فهما عالمان متغايران، وإلا لضاهينا
فلسفة النصارى بأن الأقانيم الثلاثة هي في حقيقتها الشيء واحد ؟!!

قائمة المحتويات

ملخص البحث 3

مشكلة البحث..... 4

نطاق البحث 4

منهج الباحث في البحث..... 5

أهمية هذا البحث 5

أهمية الدراسات المستقبلية للمفتي:لماذا المؤمن أحرى بالدراسات المستقبلية من غيره؟..... 7

الإشكالات التي قد تواجه المفتي فيما يتعلق بالدراسات المستقبلية 11

تأصيل التسمية بفقه العواقب 14

أهم المباديء والقواعد في فقه العواقب 17

تعريف الغيب 18

الضوابط القرآنية لفهم الغيب 21

العوامل التي أثرت على فهمنا للغيب..... 27

أنوار قرآنية تنير درب السائرين في تعلم فقه العواقب 31

الختام والتوصيات..... 44

المصادر والمراجع..... 46

ملخص البحث

الدراسات المستقبلية واستشراف المستقبل حقل من الحقول المعرفية الجديدة، التي بدأ التأصيل والتنظير لها مؤخراً، وخصوصا في البلاد الغربية، حيث لاقت إهتماماً خاصاً، سواءا من قبل الدول أو المؤسسات أو حتى الأفراد. ولقد شهد هذا العلم تطورات متلاحقة متسارعة، في منهجياته وأساليبه وتطبيقاته. وللأسف الشديد لا يزال هذا الحقل المعرفي محدوداً ولا يلاقي العناية والإهتمام الكافيين من قبل الدعاة والمفكرين ولا من السياسيين وصناع القرار في البلاد الإسلامية.

تأتي هذه الدراسة للتعريف بهذا العلم وأهميته للمفتي، وتأصيله إسلامياً، حيث أنه علم من العلوم الإجتماعية التي تحكمه الخلفية المعرفية لدارس المستقبل. وهذا الحقل المعرفي مرتبط بمفاهيم أساسية في الثقافة الإسلامية، ألا وهي مفهوم الغيب، والسنن الكونية، والنبوؤات، ومعرفة القوانين الناظمه لعلم الإجتماع

فمدارسة هذا العلم بعد تأصيله إسلامياً ودراسة الأسس المعرفية والفلسفية والأخلاقية التي تنتهجها الدراسات المستقبلية، يخرجه من سلبيات وقصور الطرح والتناول الغربي، إلى ضوابط الفهم الإسلامي. مما يساعد على فهم أفضل ليس فقط للمستقبل بل أيضاً للماضي، فالماضي له تأثير و إمتداد للحاضر كما للمستقبل، وقدرة أكبر على توجيه هذا المستقبل والمساهمة في تشكيله ضمن الضوابط الإسلامية. فيكون أداة من الأدوات المهمة التي يستخدمهاالمفتي و صانع القرار لفهم الحياة والمستقبل بشكل أفضل.

وتعتبر دراسة المستقبل من الدراسات التكاملية، أي العابرة للتخصصات، وتتطلب إلماما جيداً بعلوم وحقول معرفية كثيرة. وذلك لحمل المفتي على العناية بالدراسة المنهجية لفقه العواقب في ضوء دروس الماضي ومعطيات الواقع والحاضر وإعمال القرائن وتحكيمها، وانتظار نتائج متناسبة مع المقدمات المرصودة.

مشكلة البحث

يأتي هذا البحث كمحاولة مبدئية لتأصيل الدراسات المستقبلية من ناحية إسلامية، والتنبيه عليه كحقل معرفي حديث يفيد الدعاة بشكل عام والمفتين بشكل خاص، لما فيه من دراسة لمآلات وعواقب الأمور، في ضوء السنن الربانية، والآيات القرآنية، مستفيداً مما تم إنجازه إلى الآن في هذا الحقل في البلاد الغربية.

فعلم الدراسات المستقبلية هو من العلوم الإنسانية، والتي الأصل فيها أن تكون حيادية، ولكن إدعاء الحيادية هو ضرب من الخيال، فالإنسان توثر فيه ثقافته وبيئته وأهواءه الشخصية، وكما يقال فإن الإنسان ابن بيئته، وهنا تكمن مشكلة البحث، فهو محاولة لتطأير هذا الحقل المعرفي إسلامياً.

ويأتي هذا البحث كمساهمة لحل هذه الإشكالية من خلال الإجابة على التساؤلات الآتية:

- ما أهمية الدراسات المستقبلية للمفتي، وما أهدافها؟
- ما هي أهم الإشكالات التي تواجه دارس الدراسات المستقبلية؟
- كيف نفهم ونتعامل مع النبوءات والأخبار الغيبية في ضوء المنهج والموازين القرآنية؟
- ما هي الإشارات المبثوثة في القرآن والتي تتناول هذا الحقل المعرفي؟

نطاق البحث

ليس الهدف من هذا البحث تجميع وعرض ما تمت كتابته في هذا الحقل المعرفي في السابق، إنما هي محاولة تأصيل ما تم إنجازه ضمن المفاهيم والمباديء الإسلامية، في ضوء الآيات القرآنية والأحداث النبوية. ويتناول البحث الغيب الدنيوي والمستقبل، ولا يتعلق بالغيب الآخروي. فغيب الآخرة مما نؤمن به كمسلمين ونسلم له وهو أول متطلبات الإيمان بعد الإيمان بالله تعالى ورسالاته فغيب الآخرة مما لا يخضع للدراسة والبحث، وإنما هو إيمان وتصديق.

منهج الباحث في البحث

اعتمد الباحث في تناوله لهذا البحث على منهجيتين:

المنهج الوصفي الوثائقي، من خلال رصد واقع الدراسات المستقبلية، ومناهجها، وأساليبها، حسبما توفر من مراجع. والمنهج التاريخي، من خلال إسترداد الماضي تبعاً لما تركه من آثار أيا كان نوعها[1].

أهمية هذا البحث

إن التسارع الذي تشهده الأحداث اليومية في هذا العصر مقارنة بالعصور الماضية حيث كانت الحياة أبطء من حيث عدد وسرعة التغير التي تشهدها ساحات الحياة المختلفة (فكرية وسياسية واجتماعية..)، ومع ترابط وتعقد العلاقات وتشابكها، والإنفتاح الكبير على العالم، وإنتقال التأثيرات في ثواني معدودة من بلد إلى آخر، تطلب هذا محاولة لتفهم هذه التشابكات ودراستها، لكي يستطيع أصحاب القرار أن يتوقعوا الأحداث التي قد تؤثر ومعرفة مقدار التأثير واتساعة، ومن هنا تكمن أهمية الدراسات المستقبلية.

ولأن الرسالة الإسلامية رسالة عالمية، رحمانية، ربانية، فإن أهل الحل والعقد، والمفتين، يقع عليهم دور كبير ومسؤولية بالغة في إستشراف المستقبل، وتفهم التغيرات المتسارعة الحادثة في من حولهم، سواءا على الصعيد المحلي أو الصعيد العالمي، وإن كان الفقه غلب عليه المحلية، فإنه مع التغيرات التي تشهدها الساحة الدولية، والساحة العربية خصوصاً، فإن الأوضاع تؤذن بدخول مرحلة جديدة للفكر الإسلامي،والخطاب الإسلامي، يكون عالمي الطابع، يستوعب الشعوب والأمم قاطبة، خصوصاً مع تيسر وسائل التواصل والإتصال، وإنسياح المسلمين وتواجدهم في كل بلاد الأرض.

[1] عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ط3، (الكويت، وكالة المطبوعات، 1977م)، ص19

وهذا يتطلب الإعداد لهذه المرحلة الجديدة، لما يمكن أن نتوقعه في المستقبل، من خلال إقتناص الفرص، وتجنب المخاطر، وحتى النظر إلى الآيات القرآنية بنظرة جديدة عصرية تحمل عطاءات جديدة لهذا العصر وهذا الجيل.

ولا يهدف استشراف المستقبل إلى التكهن بتفاصيل أحداث المستقبل، لا للأفراد ولا حتى للمجتمع الإنساني، فهذا مجاله التنجيم والكهانة المنهي عنها شرعاً، ولكن الدراسات المستقبلية هي مهارة عملية تهدف لاستقراء التوجهات العامة في حياة البشر، التي تؤثر بنظام معين في مسارات الأفراد والأمم.

فالتغير -كما سوف نرى خلال هذا البحث- يتبع سنناً ونظاماً معيناً، وعلى هذا إشارات وتنبيهات واضحة الدلالة مثل قوله تعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(الأنعام 8: آية 53)

وإذا أراد المسلمون تغير حال وواقع الأمة من وجودها في قاع الأمم، إلى مصافها، وأن تتحمل الأعباء والمسؤولية الحضارية مجدداً تجاه الإنسانية، فلا بد من التغير الكلي الشامل. فحتى نستطيع صناعة المستقبل المرغوب، بحال توجيه سلوك الفرد والجماعات الإتجاه المطلوب في الحاضر.

وهذا التغير والتعرف عليه وممارسته، يتّبع منهجيات تتطور وتصقل بشكل مستمر، حتى أصبح هذا الحقل المعرفي، وهو الدراسات المستقبلية أقرب إلى العلم. ومنذ أن بدأت الدراسة المنهجية للمجتمعات على يد العالم المسلم إبن خلدون الذي هو الأستاذ والمؤسس لعلم الإجتماع وعلم النفس، لم تتوقف محاولات الإنسان لمعرفة القوانين والسنن الناظمة والمؤثرة في قيام وإنهيار الحضارات والأمم، ثم وبعد عصور التوسع التجاري ونشوء الشركات العابرة للقارات، إزدادت أهمية الدور الذي تقوم به هذه الدراسات المستقبلية.

لذلك تتيح الدراسات المستقبلية كحقل معرفي لصناع القرار وأهل الحل والعقد أرضية ومحطة مشتركة للتحاور وتشارك الأفكار في قضايا مستقبلية محددة، فهي جامع وقاسم مشترك بين المهتمين.

أهمية الدراسات المستقبلية للمفتي:لماذا المؤمن أحرى بالدراسات المستقبلية من غيره؟

الدراسات المستقبلية هي جهد علمي منظم، يسعى الى تحديد إحتمالات وخيارات مختلفة مشروطة لمستقبل قضية أو عدد من القضايا خلال مدة مستقبلية محددة، بأساليب متنوعة إعتمادا على الدراسات عن الحاضر والماضي.

"إن دور الدراسات المستقبلية لا يكمن في إصدار نبوءات، وإنما يتجلى هدفها في تحديد الاتجاهات، وتخيل حسب أساليب البحث المتبعة مستقبل مرغوب فيه، واقتراح استراتيجيات لتحويله إلى مستقبل ممكن. فالأمر يتعلق بتسليط الأضواء على الاختيارات، قصد مساعدة صانعي القرارات للتوجه نحو الأهداف الطويلة المدى، مع إطلاعهم على التدابير الواجب اتخاذها في الحين قصد الوصول إليها"[2].

إن ما عليه حالنا اليوم هو نتيجة تراكمات حالنا وأوضاعنا في الماضي، وما سوف تؤول إليه أحوالنا في المستقبل هو نتيجة ما نحن عليه اليوم. وإذا كانت الفكرة السائدة، والبشارة الراسخة بأن المستقبل لهذا الدين، فنتساءل كم أعددنا لهذا المستقبل، أم أن المستقبل سوف يأتي لنا جاهزا على طبق من ذهب؟ يمكن أن تكون أوضاعنا أفضل كأفراد وجماعات إذا أعددنا أنفسنا بأفضل ما نستطيع أو بالتعبير القرآني، (التقديم للنفس)، والتقديم قد يكون بخير أو بشر، ولكل خيار عواقبه:

﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ **وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم** مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (البقرة 2:آية 110)

[2]المنجرة. المهدي، 2005، الحرب الحضارية الأولى، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار البيضاء، ص297

﴿ذَلِكَ **بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ** وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (الأنفال 8: آية 51)

المفتي الداعية إلى الله هو الأقدر بين الناس على تلمس مواطن الخير، والأنقى قلباً، والأكثر سكينة لتحليل التفاعلات، والأثقب نظراً في الرؤية في المدلهمات، فهو ينظر بنور الله:

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ **فِي** النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام 6: آية 122)

فهذا النور المنبثق من قلب المؤمن، لا يخوّل المؤمن صاحب الحدس والفراسة، أن يرى ما (بين) الناس فقط ولكن كما التعبير القرآني يمشي به (في) الناس. كما لو أنهيصبح قادرا على إختراق حجب غيب النفس الإنسانية للمقابل فيلحظ ويكتشف التغيرات واللمحات والتعبيرات ولحن القول ﴿..وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ..﴾، وإن كان حديث (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)[3] مما ضعفه العلماء إلا إن له ما يؤيده من القرآن، ومن قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم)[4].

فالسكينة التي ترافق المؤمن، وإستقرار قلبه، هي من عوامل النصر وزيادة الإيمان. وسورة الفتح، لها دلالة بالغة على هذا، فالنصر والفتح العزيز له مقدمات، وله إعداد حتى ينصرنا اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا:

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(الفتح 48: آية4). فهذه السكينة لا تكون إلا لمؤمن متصلا بالله، سائرا على صراطه.

فزيادة الإيمان ليست منحصرة على الجانب المعنوي، بل آثار الإيمان تمتد إلى التأثير الحياتي المعاش، وإلا لكان إيمانا بارداً، خاملاً، وهذا ينافي الإيمان الحقيقي، الفاعل الإيجابي. فإن المؤمن يبقى يعمل بالبركة

---

[3] الألباني "السلسلة الضعيفة" 1821 سلسلة الأحاديث الضعيفة، رقم الحديث.

[4] حسّنه الشيخ الألباني في "السلسلة الصحيحة" 1693

سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم الحديث

الربانية ويطلبها، ويعتمدها، ولا يتحول إلى شخص مكانيكي جاف، تحكمه المعادلات والأرقام والأهواء الشخصية، التي قد تحكم غير المؤمن.

"أساس هذا العلم: الأخلاق والحياد، وهما صنعة إيمانية دعوية"[5].ولكن مجرد التربية الدعوية الأخلاقية لا تعني في مجال الدعوة والإفتاء شيئاً كثيراً ما لم تساندها تربية تخطيطية[6]، فالخطاب الإسلامي في المرحلة القادمة وبعد عهود من التهميش والإقصاء ينتقل إلى مرحلة العالمية، فالبقاء على الخطاب المحلي المرحلي، سوف يخرجه من دائرة صنع القرار. ويبقيه تابعاً لأولائك الذين يخططون ويدرسون المستقبل.

تخرجنا الدراسات المستقبلية من أسر الإنشداد للماضي بتبعاته وأثقاله وأحزانه، إلى الفضاء المستقبلي الرحيب، وتجعل المفتي أكثر إرتباطاً بالواقع. "إن العمل الإسلامي لا تليق له القفزات والارتجالات والعفويات"[7]، بل يحتاج إلى وقت طويل للنضج الطبيعي غير المتكلف.

"علم التخطيط هو أحد هذه التخصصات التي يمكن أن نغرسها، منذ مرحلة مبكرة لدى بعض الدعاة، وندعهم يمرون بالمراحل المتتابعة التي توصل إلى النضج والمهارة، ويمكن أن يُعان المفتي الذي يختاره تخصصاً له، بتعليمه علم الإدارة، وعلم القيادة، وعلم الإبداع، عبر دورات أيضاً، لأنها علوم مساندة وموازية لعلم التخطيط"[8].

"أن الاستشراف علم صحيح وردنا من الغرب، نعم، ويتساوى المسلم والعلماني في استقباله وإتقانه، ولكن الدعوة تتيح تنفيذاً لمتطلباته، وبشكل أدق مما تقوم به الوزارات المعنية والجامعات (...) أما الجزء المتعلق بالتناظر والقياس والإسقاط بالقرينة فإن الدعوة مرشحة لامتياز فيه أيضاً، لأن الفقه هو ديدن دعوي دائم، والفقه كله قياس وتعليل واشتغال بالأشباه والنظائر، ومنهجية التربية الدعوية تراعي ذلك

---

[5] الراشد، محمد أحمد، 2007،رؤى تخطيطية، سلسلة إحياء فقه الدعوة، دار الأمة، الرياض، ص156
[6] مرجع سابق، ص 3
[7] مرجع سابق ، ص17
[8] مرجع سابق ، ص22

جدا، وتجعل صنعة الاجتهاد رائجة، وهذا يعني امتلاك الدعاة دِربةً وافرة على القياس والإقران، بينما تلميذ الدراسات التخطيطية لا تتوفر له دربة ولا حوارات فقهية، فيكون أقل مهارة في هذا الباب، ويجنح إلى تقليد ونقل حرفي والتقاط عن غير بينه، وكيف يتأتى ذلك لرجل لم تمسك يده كتاباً في الأصول والقواعد الفقهية، ولم يذهب مع السياحات الفلسفية؟"[9].

فهي تخرج المفتي من دائرة ردود الأفعال إلى دائرة الفعل والتحضير للفعل ضمن تصورات واضحة بدلاً من العفوية المؤقته. فالدراسات المستقبلية توجد فسحة زمانية ونفسية، تخفف من ثقل أعباء الحاضر، وتطلق العنان للعقل والخيال، ضمن منهجيات معينة، لكي يسيح المفتي في أرجاء الأفكار لسنوات قادمة، لرسم تصورات، وتحليل منعطفات، وتشخيص عقبات، لا تتيحها الإنشغالات الآنية الحاضرة. فهي سياحة فكرية مستقبلية. تخرج المفتي من ردود الأفعال، إلى توقع مجريات الأمور بشكل عام، وضمن مقاصد الشريعة، وأهدافها العليا في النفس والحياة. من خلال خطوط رئيسة لا تدخل كثيراً في التفاصيل والجزئيات. أو كما يلخصها الراشد بقوله "فالمقدرة الوصفية، والمهارة في ترجمة الخيال، ومكنة استحضار المعنى الإستشرافي البعيد ونقله إلى الموطن المنظور القريب، ومهارة جمع المتناثر في بؤرة، وتوزيع المتمركز في أطرافٍ في المحيط، وإدارة المستقر حول محور: كل ذلك إنما هو نتاج التفوق إذا احتلت المنهجية العقل ثم انسابت نحو مكمن العواطف في القلب فاستعمرته فحصل الامتزاج، وكل ذلك إنما يفسر نعمة (البيان) التي إمتن بها الله سبحانه"[10].

يصف المفكر والفليسوف الفرنسي موران إدغر في كتابه (إلى أين يسير العالم) عمق الأزمة التي تعاني منها الإنسانية، وكيف أنها تبحث عن خلاص، قائلا:"إن أزمة الثقافة، مثلها مثل أزمة الحرب، تدفعنا إلى تحول عميق في علاقة الفرد بالفرد، والفرد بالمجتمع، والمجتمع بالإنسانية(...) لا يتعلق الأمر هنا بصراع نهائي، بل بصراع جديد أساسي. يتعلق الأمر بتصور ولادة جديدة، ستكون مرتبطة بولادة إنسانية غير

[9] الراشد، محمد أحمد، 2007،رؤى تخطيطية، سلسلة إحياء فقه الدعوة، دار الأمة، الرياض، ص160
[10] مرجع سابق، ص5

موجودة وفي طور الكمون.." [11]، ويبشر بولادة ثورة إنسانية جديدة، والوصول إلى الوعي الشمولي والعام للإنسانية، ليتكون "الإنسان الكوني" أو كما يسميه ب"الإنبثاق الكوكبي للإنسانية"[12]، ويرى أن الحضارة الصناعية تغذي في داخلها تحطيمها الذاتي. وأنه "إذا لم نغير طريقنا، فالفناء مصيرنا"[13].

ولقد سبقه إلى هذه النتيجة بديع الزمان النورسي في بداية القرن الميلادي الماضي حين قال:" «إن الدولة العثمانية حبلى حاليا بجنين أوروبا وستلد يوماً ما، أما أوروبا فهي أيضا حبلى بجنين الإسلام وستلد يوماً ما» [14] ."وليست الإنسانية فكرة مثالية فحسب: لقد أصبحت قدراً مشتركاً"[15].

ولهذا حري بالمسلم تعلم مثل هذا الحقل المعرفي، ليبدع فيه، ويرتقي بالإنسانية. فنحن جزء من مجموع إنساني مشترك، فإما أن نكون فاعلين مؤثرين في المجموع الإنساني، وإلا فإن الناشطين الآخرين ذوي الأجندات الخاصة سوف يقومون بدورهم النشط.

الإشكالات التي قد تواجه المفتي فيما يتعلق بالدراسات المستقبلية

"إن الاستشرافيين (من المسلمين) لن يستطيعوا الوصول إلى إستشراف نافع ودقيق ولو قرأوا ألف كتاب غربي في هذا الفن، لأن النظرية الاستشرافية الغربية تقف وراءها فلسفة مادية خاصة، بينما لنا هوية أخرى، ومنظومات قيم، ومعتقدات، وطوابع دينية، وجذور حضارية مغايرة"[16]. فبعض الدراسات

---

[11] مورن، إدغر،2009، إلى اين يسير العالم، ترجمة أحمد العلي، الدار العربية للعلوم والنشر، لبنان، ص61

[12] مرجع سابق، ص43

[13] مرجع سابق ،ص38

[14] في سنة(1908 م) كان مفتي الديار المصرية في زيارة(لاستانبول) ، فاقترح علماء المدينة إجراء مناظرة بينه وبين بديع الزمان ، لعله ينجح فيما فشل فيه العلماء ، لكن جواب النورسي أفحم المفتي الذي قال : «إنني أوافق على ما قال ، لأنني أحمل الاقتناع نفسه ، ولا يمكن المناظرة مع مثل هذا الشاب ؛ لأن مثل هذا الجواب الوجيز خاص ببديع الزمان» .(انظر : بديع الزمان النورسي : الملاحق في فقه دعوة النور ـ ص : 386 ؛ وأورخان علي : النورسي ـ ص : 38) .

15 مورن، إدغر،2009، إلى اين يسير العالم، ترجمة أحمد العلي، الدار العربية للعلوم والنشر، لبنان، ص 45

[16] الراشد، محمد أحمد، 2007،رؤى تخطيطية، سلسة إحياء فقه الدعوة، دار الأمة، الرياض، ص154

المستقبلية الغربية، تصدر من تحيز واضح، من منطلق هيمنة الحضارة الغربية، وأن الإنسان الغربي هو مركزي في هذا الحضارة، وهناك ضعف في النظر للعنصر الثقافي للإنسانية فتتعامل معه مثل الجمادات.

من هنا تنبع أهمية العمل على تأصيل هذا الحقل المعرفي إسلامياً، وبجذور وفلسفة إسلامية، وضمن منهجيات بحثية وليدة الثقافة الإسلامية، وإلا فإن إستيراد منظومة الفكر الغربي لهذا الحقل، قد تجلب معها إشكالات نحن في غنى عنها. فالباحث والمفتي سوف يلحظ شح أو حتى شبه إنعدام أي مصادر متخصصة في هذا الحقل من مفكرين عرب و مسلمين.

ولهذا فإن أعداد المشتغلين بالدراسات المستقبلية في العالم العربي، محدود جداً، وكثير منهم يعمل ضمن مؤسسات يغلب عليها الطابع الحكومي "البيروقراطي"، ذي التوجهات والإهتمامات البحثية المحددة. إما عسكرية أو سياسية. وإجمالاً فإن العالم الثالث يعاني من قلة في مثل هذه المراكز، فهذه المراكز تكاد لا تلاقي دعماً ولا تمويلاً كافياً للإستمرار في عملها.

ولأن الدراسات المستقبلية هي لأمور متعلقة بالمستقبل، فإن الإهتمام بها محدود، وهي تطلب مصادر مالية أحياناً كبيرة لتمويلها واستمرار عملها، فلا تكاد تلاقي الدعم من أحد، للإعتقاد الشائع بأن منفعتها غير مباشرة، أو أنها متوهمة، فتبقى كثيراً من الأعمال فردية الطابع والتوجه، إذ أن الدافع المادي في دراسات المستقبل قد يكون هو الغالب على ما تقوم به مراكز الأبحاث والدراسات. فكما يقول بوشيه وريو في كتابهما (مراكز الفكر أدمغة حرب الأفكار): "ما الفادة من أن نملك أفكاراً إذا كنا لا نستطيع بيعها"[17]، فكم هي الافكار الجيدة التي لا تلقى رواجاً لعدم رغبة كثيرين في دفع مبالغ لها، فتبقى حبيسة العقول، ولا تنتشر، في حين أن المسلم والمفتي هدفه ليس فقط دنيوي، وغنماً عاجلاً بل هو مرتبط بأجر وثواب آخروي.

[17] بوشيه، ستيفن و رويو مارتين، 2009، مراكز الأفكار أدمغة حرب الأفكار، دار الفارابي، بيروت، ص 84

ومما ساهم في انتشار وإزدياد الطلب على مراكز الفكر وأبحاثها هو دخولها في نطاق العمل التجاري، حيث توكل الحوكمات والمؤسسات التجارية، لمراكز الأبحاث والأفكار، مهمات دراسة أمور مستقبلية محددة، وتدفع مقابلها مبالغ طائلة. ضمن إجندات نشر الديمقراطية والحرية ومؤسسات المجتمع المدني. وبعض الدراسات تستلزم تظافر الجهود وتلاقيها، بخلفيات معرفية مختلفة، للعمل على مشروع معين. فهي أقرب إلى الإجتهاد المؤسسي الجماعي، الذي تقوم به مجامع الفقه الإسلامي. فهذا يقيها إشكالات الإجتهاد والإفتاء الفردي.

تعاني الدراسات المستقبلية من توحد في الروى أحيانا، وإغراب في الرأي قد يراه البعض مستهجنا، لأنها تتعامل مع المستقبل بمتغيراته وتعقيداته، وتدخل في تحليل الأحداث والإتجاهات، مما يحسبه الجاهل أو الغير مطلع نوعا من التطرف. ولذلك في الحديث (إنَّ الرَّائِدَ لا يَكْذِبُ أَهْلَهُ)، ومن هنا تجيء ضرورة تبسيط مفاهيم الدراسات المستقبلية وإشاعة ثقافتها، ليرتفع منسوب الوعي الشعبي.

تتطلب الدراسات المستقبلية إعادة النظر والبحث في أمور قد يعدها أغلب الناس من المسلمات، ولكن إمعان النظر في المستقبل، والمزاوجة بين الثقافات والتخصصات المختلفة، وإستعراض التجارب المتنوعة لمختلف الأمم، تضفي أبعادا قد تكون غائبة ومجهولة على من يبذل نفس الجهد ويمر بنفس التجارب. فالدراسات المستقبلية هي تعامل مع مجهول، فمع تراكم وتقدم العلوم، تصحح النظرة إلى الماضي وترتقي.

من ينظر إلى المستقبل هو في الغالب بطبيعته إنسان متفائل، إنسان يبحث عن الإنجاز والتقدم، وفي الدول "البوليسية"، ذات الحكم العضود والجبري والقمعي، يصبح الحديث عن المستقبل سواء بالخير أو بالشر، مصدر قلق وإزعاج للسلطات القمعية الحاكمة، وهي إشكالية لطالما واجهت المفتي والداعية إلى الله.

وإن كانت الدراسات المستقبلية تتبع وسائل وأساليب بحث منهجية خاصة بهذا الحقل، إلا أنه أحيانا هناك أمور قد يصعب على الباحث في المستقبل التعبير عنها ووضعها على شكل حقائق وأرقام والبرهنة عليها، وإنما هو شعور داخلي ينقدح في حس المفتي قد لا يستطيع أن يصفه ويحدده بدقه.

تأصيل التسمية بفقه العواقب

إلى الآن لم يتم الإتفاق بين المفكرين والفقهاء المسلمين على تسمية موحدة للدراسات المستقبلية، فاختلفت المسميات بإختلاف الرؤى. من مثل: الدراسات المستقبلية، المستقبليات، فقه التوقع، فقه المآلات، فقه العاقبة...، وهو ما ما واجهته التسمية باللغة الإنجليزية، حيث مرت بعدة مراحل وتغيرت، إلى أن إستقرت في الأدبيات العلمية بإسم (الدراسات المستقبلية).

ومن منطلق التأصيل لهذا العلم، في بيئة عربية إسلامية، ولأن الحكم على الشيء فرع من تصوره، ولوجود عدة تسميات له، مثل الترجمة الحرفية للمطلح الإنجليزي، (الدراسات المستقبلية) إلا إني أرجح اسم **فقه العواقب**، للأسباب التالية:

لكلمة العاقبة أصل في القرآن، وأستخدم جذرها في عشرات المواضع، إختيار العواقب، هو لإظهار أن الفعل الواحد قد ينتج عنه عدة نتائج أو عواقب. وهذه النتائج هي تقديرية وإستشرافية وليست على وجه الجزم، حتى لا ندعي الإحاطة بالغيب المستقبلي.

أن العاقبة حسب نظرة الإنسان لها وتقديره وفقهه لها، فما قد يراه الإنسان خطأ أو شراً، قد يراه آخر خيراً، مثل موقف الصحابة من صلح الحديبية. ولكن النظرة الثاقبة للرسول –صلى الله عليه وسلم– وتقديره للموقف بحكمته، تجاوزت ما رآه الصحابة الكرام. وكانت العاقبة خيراً للمسلمين.

لقد جاءت كلمة العاقبة ومشتقاتها في عشرات الآيات، فهي كلمة قرآنية أصيلة، حري بنا أن نفعّلها بإستخدامها. ونجد بأن هذه الكلمة لا تختص بفئة الكافرين بل أستخدمت بحق المؤمنين أيضا، فهي متعلقة بكل ما تؤول إليه الأفعال، وشاهدها في سورة الرعد، فبعد أن ذكر الله سبحانه أحوال المكذبين الكافرين، وأحوال المصدقين المؤمنين، جاء بعدها حال كل من الفريقين، وعاقبة أمرهما، بناءا على ما قدموا في الدنيا.

﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ **عُقْبَى** الَّذِينَ اتَّقَواْ **وَّعُقْبَى** الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (الرعد 13: آية 35)

وفي مطلع السورة نفسها يذكر سبحانه بأنه:

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ (الرعد 13: آية 25)

ونبهنا إلى عدم إستواء الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور (الرعد 13: آية 16)

وأنه يضرب الأمثال وكيف تؤول الأمور من خلال حركة سير الماء في الأودية ، فكل شيء يعمل ضمن نظام موزون:

﴿نزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾(الرعد 13: آيت 17)

ثم يأتي الحديث عن عواقب الأعمال:

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾(الرعد 13: آية 17)

ومن يعلم ما أنزله الله ويؤمن به فهو معه الحق، ومن لا يعلم فهو أعمى :

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾(الرعد 13: آية 19)

فهناك عقبى الدار:

"وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ **عُقْبَى** الدَّارِ﴾(الرعد 13: آية 22)

وهناك قوم آخرين لهم سوء الدار:

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾(الرعد 13: آية 25)

أما مصير الصالحون، الصالحين

﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾(الرعد 13: آيت 29)

وحتى المكر بالشر له قوانينه، وله عواقبه الوخيمة:

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ **عُقْبَى** الدَّارِ﴾(الرعد 13: آيت 42)

وهكذا نجد في مثل سورة الرعد كيف تكرر معنى العاقبة، وإلى أين تسير مآلات وعواقب الأمور، فهذه المفردة القرآنية، هي المعبرة وبشكل مباشر عن طبيعة الدراسات المستقبلية. ولا أرى أن هناك كلمة أخرى قد تحل محلها وتحمل نفس التعبير والمضمون.

الآيات: ٢٢، ٢٤، ٣٥، ٤٢ ورد فيها كلمة عقبى للدلالة على مآل المؤمنين والكافرين، والملاحظ أن الله تعالى في هذه الآيات وعد - ووعده حق - المؤمنين بالجنة (٣٣) مرات والكافرين بالنار مرتين وفي هذا إشارة إلى رحمته تعالى بعباده وأن رحمته سبقت عذابه

أهم المباديء والقواعد في فقه العواقب

هناك مجموعة من المباديء والقواعد العامة التي يجب أن ينتبه لها المفتي والباحث في فقه العواقب ومنها:

- المستقبل مستقبلات وليس مستقبلاً واحداً
- كلما كانت التغيرات أسرع كلما كانت الحاجة إلى نظرة أبعد أشد
- الكون وحدة واحدة وليست تجمع وحدات مستقلة غير منتظمة
- المستقبل حصيلة تراكمية لما يتتابع من أحداث وعمليات تغيير
- النتائج المستقبلية تتأثر بشكل متفاوت بالفعل الفردي والجماعي
- صور المستقبل تؤثر في السلوك الحالي للإنسان
- من الإعداد بالقوة، وأهم أنواع القوة هو القوة المعرفية
- الحاضر والمستقبل ليس مجرد إمتداد للمستقبل

نظرة مستقبلية سطحية

بل هناك حركة تفاعل مستمرة، بين الماضي والحاضر والمستقبل، بشكل إرتجاعي، ففهمنا للمستقبل والحاضر، يزيد من فهمنا للماضي، كما هو في هذا الشكل:

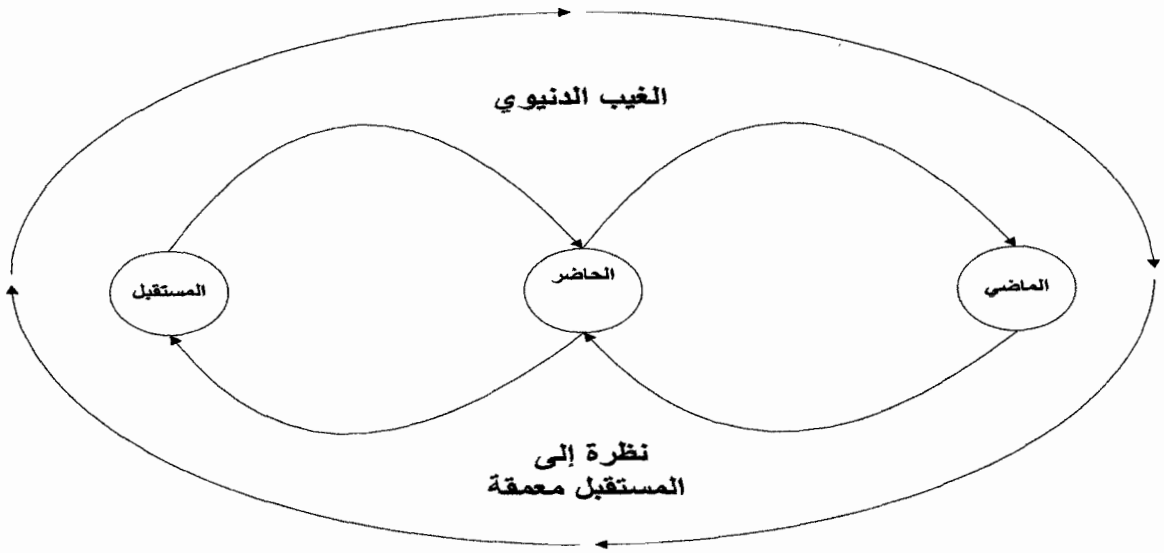

تعريف الغيب

من الضروري تعريف ما هو الغيب، وكيف نتعامل معه، لأن فقه العواقب يقع ضمن الغيب. فقضية الغيب في القرآن من القضايا المحورية، والتي إبتدأ الإيمان بها في سورة البقرة.

وقد قيل في تعريف الغيب أقوالاً كثيرة ومختلفه، ولقد تتبع إلياس بلكا بعضاً من تعريفات الغيب كما جاءت لدى العلماء، فمن هذه التعريفات: بأن الغيب والشهادة هما عالم السر والعلانية، أو ما كان و مايكون، أو هو ما أخبِرنا به من مثل الملائكة والجنة والنار، أو القضاء والقدر، أو ما كان غائبا عن العيون، وإن كان محصلاً في القلوب، وقالوا بأن أصل الغيب كل ما غاب عنك من شيء. وأن الفرق بين عالمي الغيب والشهادة هو الحس[18].

[18] بلكا. إلياس، الغيب والعقل،2008، دراسة في حدود المعرفة البشرية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية. ص 115

وللباحث مجموعة من الملاحظات على التعاريف التي وردت، في كل ما إطلع عليه، وما هو شائع في تعريف الغيب، فعادة ما يتم تثنية عالم الغيب والشهادة، بالقول عالم الغيب وعالم الشهادة، وهذا لم يرد أبداً في القرآن الكريم. فيجب الإلتزام بما جاء به الذكر بخصوص التسمية. فهو عالم وليس عالمين.

أينما ورد الحديث في القرآن عن عالم الغيب والشهادة كان الحديث حول أمور تقع في الدنيا يتبعها أمور لاحقة، تترتب عليها وتعقبها في الآخرة، مما يوحي كما لو أن الغيب والشهادة، هو إمتداد لعالم واحد، لكن على مرحلتين.يقول تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾(النمل 27: آية 65). هذا دليل على أن كل ما قبل البعث هو غيب، حتى ولو أنه في عرض السموات، أو في أعماق الأرض. وهو من قوله سبحانه :﴿وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ويعلم مافي البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولاحبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولايابس إلا في كتاب مبين﴾(الأنعام 6: آية 59).

إن ما هو غائب عن شخص هو شهادة لدى آخر. وأعتقد بأن الدنيا هي عالم الغيب بكل ما فيها، فمهما إطلعنا وعرفنا الحياة فهي تبقى لدينا غيباً، فعلى سبيل المثال، قد يشهد إنسان حادث سيارة أمامه، ويحضر للشهادة، وبالرغم من حدوث الحادث أمام ناظريه، قد تغيب عنه (وهو الشاهد) بعض الحقائق المهمة وتبقى في علم الغيب، مثل نوع السيارة والسرعة بالضبط، والأجهزة التي في السيارة التي قد تكون عاملا أوسبباً للحادث... وهكذا مهما أتي الإنسان من علم فهو يكون مثل الحاضر الغائب، والقرار النهائي والتقدير والحكم هو للقاضي، الذي يقدر الأمور بناءا على المعطيات التي لديه، وقد يكون حكمه خاطئاً، لبقاء بعض الحقائق غائبة.

وأيضا حدث خلط يين علم الغيب وعلم الباطن، وبين الشهادة وعلم الظاهر:﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(الحديد 57: آية 3).

والله تكلم عن أن أكثر الناس لا يعلمون، بالغرم من أن هذه الآية تتكلم عن الناس إلى قيام الساعة، وبالرغم من التقدم والمعرفة العلمية، إلا أنه قال عنهم:﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾(الروم 30: آية 7). فمهما ارتفع علم الإنسان، يبقى علمه في ظواهر الأمور.

وأن هناك عالم وعلام:﴿أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾(التوبة 9: آية 68). فعالم بشكل مطلق لايخفى عليه شيء سبحانه. وعلام لا يعلو على علمه أحد. وهي غيوب، بدرجات وليست غيباً واحد، وإن تكشف غيب لأحد من الناس، فإنه لن يعلم كل درجات الغيب، فهو من علمه تعالى. ويبقى الغيب منحجباً عن الناس، حتى لا تكون أفضلية من أحد على أحد، وحتى يكون الإختبار (الفتنة) في هذه الحياة بشكل عادل ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾(الأعراف : آية 188) ولا ميزة لأحد على أحد.

فالغيب مفهوم نسبي وغير مطلق (جزئي وكلي)، فهو يتكشف بزيادة العلم، فكلما زاد العلم زادت قدرتنا على التعامل مع الحياة وفهمها بشكل أفضل، فما كان غائباً أصبح حاضراً بل أصبح مسيطراً عليه، فمثلاً قبل إكتشاف الفيروسات والجراثيم وأنواعها، كانت أسباب المرض غير معروفة وكيفية علاجه والوقاية منه غير معروفة، حتى أن بعض الأمراض كانت تُعزى في بعض المجتمعات إلى الأرواح الشريرة، فكانت الأمراض ضمن الغيب، لأن وسائل التعرف والتعامل مع الغيب لم تكن متوفرة، مع أن المرض موجود وأثره حاضر، ولكن الغائب كان معرفة أسبابه وطرق العلاج. وبعد حضور أجهزة القياس والمناظير والتحاليل بأنواعها والمختبرات، تكشف ما كان غائباً، وأصبحت أمراض كثيرة ليست ذات تأثير لتوفر الدواء المناسب. وتم إيقاف إنتشارها ومنها ما إختفى تماما، بسبب توفر الأمصال. وهكذا كلما زاد العلم قل الغيب، وأصبحت القدرة على التعرف والتحكم بالغيب أفضل.

وإذا أردنا أن نقسم غيب الدنيا زمانياً، فهو غيب مضى، وأخبرنا الله سبحانه بعضاً من أطرافه من خلال قصص الأقوام الأخرى، والغيب الحاضر، والغيب المستقبلي والذي أخبرنا ببعضه من خلال النبوءات. وهو مناط البحث والدراسة في فقه العواقب.

ويجب التفريق بين الغيب الدنيوي والغيب الآخروي، حيث أن محل الإبتلاء والتكليف والإختبار هو في الدنيا، ضمن قوانينها وشروطها وسننها. أما الآخرة فلا تكليف فيها بل الإيمان والتسليم.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾(إبراهيم 14: آية 48)

ففي الآخرة يحدث التبديل للأرض وتتغير القوانين.

الضوابط القرآنية لفهم الغيب

من خلال مدارسة القرآن وتدبره، نجد بأن هناك مباديء عامة نستطيع من خلالها التعامل مع الأمور والأحداث الغيبية، فيما يتعلق بغيب الدنيا. فالإسلام دين العقل والعقلانية، وإيجاد منهجية إسلامية في التعامل والتفاعل مع الأمور الغيبية يتيح المجال واسعاً لتفعيل هذه العقلانية بشكل منهجي، تحول بين العقل المسلم والدخول في الخرافة والجهل، أو حتى التخبط في متاهات الحياة، فالهداية والنور القرآني ممتد، ليخرج الناس من ظلمات الجهل والتخبط إلى ألق ورفعة العلم والإيمان. فهناك ضوابط عامة، نلحظها من خلال المدارسة والتدبر في القرآن، تحكم أنباء الغيب، ومنها:

الضابط الأول: لا يعلم الغيب إلا الله: وعلى هذا عشرات الأدلة من القرآن، بحيث لا تقبل هذه الحقيقة الجدل، فالله سبحانه إختص بعلم الغيب:﴿قُل لّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾(النمل 27: آية 65)

وحتى الرسول –صلى الله عليه وسلم – لا يعلم الغيب:﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف 7: آية 188)

وعنده فقط سبحانه مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو:﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾(الأنعام 6: آية 59)

وتكرر في مواضع عديدة في القرآن بأن الله عالم الغيب والشهادة:﴿...عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾(الأنعام 6 الآية : 73)، ﴿ ... ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(التوبة 9: الآية 94)، ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(التوبة 9: الآية 105)

فاختصاص الله سبحانه بعلم الغيب، يبقي الإنسان مرتبطاً مشدوداً إلى القوي القيّوم، فالإنسان في دأب مستمر يسعى إلى إكتشاف الخفايا ومعرفة كنه الأشياء وبواطنها!

الضابط الثاني: أظهر الله سبحانه بعض غيبه لبعض الرسل بضوابط: هذا الضابط يتعلق الضابط السابق، حيث يشيع الإعتقاد بأن الله سبحانه قد يشرك آخرين في علمه للغيب ويستدلون بهذا الجزء من آية 26 و 27 من سورة الجن:﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (آية 26)إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ...﴾(جزء من آية 27)

يتوقف البعض عند منتصف آية 27، للإستدلال على أن الله سبحانه يُعلِم الغيب لبعض الرسول الذين إرتضاهم!وهذا وقوف خاطي، ويشوه المعنى تماماً. بل إنه يعكس المعنى.

بداية، الله سبحانه لم يقل بأنه يُعلم الغيب للرسل. فالعلم بالشيء درجات ومراحل، منها الإطلاع والإظهار والإعلام و المعرفة والعلم. فالله سبحانه في الآية قال (يظهر)، فحتى نفهم الفرق، قد يَظهر للإنسان شيء ويراه ولكن لا يصل إلى درجة العلم التفصيلي والشامل لما رآه. فعلى سبيل المثال ترى كمبيوتر مفتوح أمامك، فإذا لم تكن متخصصاً في علم الكمبيوتر هل تستطيع أن تخبر أو تدرك وظائف كل أجزائه وطريقة عملها؟ فالإجابة طبعاً لا، فأنت لم تصل إلى درجة العلم فضلاً عن المعرفة. فأنت مُطَّلِع أي "عندك فكرة عامة" ولكن لا تعرف دقائق التفاصيل. وهكذا هو ما يتم إطلاعه من الغيب لبعض الرسول، فهو لا يصل إلى حد العلم بالغيب.

وقول ابن عاشور في تفسير هذه الآية "...والثالث والرابع (يتحدث هنا عن ضمير الهاء) ضميراً من بين يديه ومن خلفه، وهما عائدان إلى (الرسول) أي: فإن الله يسلك، أي: يرسل للرسول رصداً من بين يدي الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومن خلفه رصداً، أي: ملائكة يحفظون الرسول – صلى الله عليه وسلم – من إلقاء الشياطين إليه ما يخلط عليه ما أطلعه الله عليه من غيبه.... والمراد ب (من بين يديه ومن خلفه)الكناية عن جميع الجهات، ومن تلك الكناية ينتقل إلى كناية أخرى عن السلامة من التغيير والتحريف"[19].

وهذا غير صحيح، فضمير الهاء في (يديه) و (خلفه) يعود إلى الغيب وليس إلى الرسول. فالحديث في الآيات عن الغيب وإظهاره، وهو المحفوظ وهو المرصود، أما ما نقله الرسول من الغيب فهو اصلا محفوظا بحفظ القرآن، أما الأحاديث فبعضها ما صح وبعضها ما لم يصح، ولا نعلم باليقين الجازم، الصحيح والمحفوظ منها.

أما الكناية التي يشير لها ابن عاشور، فهي ليست عن التغيير والتحريف، بل عن المعرفة والإكتشاف، وهذا ما أفادت به كلمة رصدا.ثم يجب إكمال بقية الآية، فالله عز وجل يقول في بقيتها:﴿... فَإِنَّهُ

[19] ابن عاشور. محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تفسير سورة الجن، ص 249

يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾، فالوقوف قبل التلاوة قبل إكمال الآية، يعطي فهماً خاطئاً، فما هو الرصد، ولماذا تتم إحاطة ما تم (إظهاره) من الغيب بهذا الرصد؟

الرصد من معانيه في اللغة، الحفظ والحراسة والرقابة[20]، ومنها جاء تعبير العامة بفك الرصد (للسحر)، رصَد الأسدُ فريستَه: أي راقبها وقعد لها، والإرْصاد: الانتظار، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾، وراصَدَه: رَاقَبَه كما في قوله تعالى ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾، الرَّصائد والوصائد: مَصايدُ تُعَدُّ للسِّباع، والرصد فيه معنى الخفاء والإخفاء في الترقب، كما في قوله تعالى:﴿..وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾. وهو ليس حراسة الملائكة للرسول، فالله عز وجل لم يذكر في هذا الموضع بأن الملائكة تحرس الرسول، كما يقول بعض المفسرين، ولكن الرصد لحفظ وإخفاء ما تم الإخبار به من الغيب، عُرِض وتم نقله بطريقة تبقيه خافية عن أن يعرف فيكتشف، فهو مرصود، أو كما يقال بالعامية، جعل للغيب (شفرة) أو بالإنجليزية (كود) حتى يبقى غائبا محفوظا، لا يعلمه أحد، إلا أن يأتي وقت حدوث الغيب فينفك الرصد، وتحل (الشيفرة) وتحقق ما كان محفوظا.

وهكذا يبقى الله سبحانه فقط عالم الغيب، فلا يحدث تناقض في القرآن (وجل القرآن عن التناقض) ولا يوجد لأحد،مهما إرتفع شأنه، أن يتميز أو يختص عن غيره بعلم الغيب. وبهذا كل ما أُخبرنا به عن الغيب، لا أحد (يعلم) غير الله سبحانه متى وكيف سوف يحدث وعلى هذا شواهد، من أشهرها، قصة يوسف عليه السلام، فكل قصص المستقبل (الرؤى) حدثت بطريقة تحتاج إلى تعبير وتأويل، فالأبوين جاءت الرؤيا عنهما على شكل شمس وقمر، وسنوات الرخاء والجدب جاءت على شكل بقر، وعصر الخمر هي النجاة والخدمة في القصر،والطير تأكل من الخبز على الرأس هي القتل... وهكذا، جاءت كل هذه الرؤى المستقبلية على شكل غير مباشر، وإحتاجت إلى يوسف عليه السلام الذي إجتباه الله وعلمه

[20]وبه فَسَّر بعضُ المفسرين قوله تعالى : " والذين اتَّخَذُ مَسْجِداً ضراراً وكُفْراً وتفْريقاً بَيْن المؤمنين وإرصاداً لمَنْ حَارَبَ الله ورَسُولَهُ " . قالوا : كان رجلٌ يقال له أبو عامر الراهبُ حاربَ النبي صلى الله عليه وسلم ومَضى إلى هِرَقْلَ وكانَ أَحَدَ المنافقين فقال المنافقون الذين بَنَوا المسْجدَ الضِّرَار : نَقْضي فيه حاجَتَنَا ولا يُعَاب علينا إذا خَلَوْنا ونَرْصُدُه لأبي عامر مَجيئَه من الشام أي نُعدّه . قال الأزهريُّ : وهذا صحيح من جهة اللّغَة اقرأ المزيد . وقال الزجّاج : أي ننتظر أبا عامر حتى يَجيءَ ويُصَلّيَ فيه . والإرْصاد : الانتظار،
http://www.maajim.com/%D8%B1%D8%B5%D8%AF

من تأويل الأحاديث وأتم نعمته عليه وعلى آبائه، فهذا خاص ليوسف عليه السلام، ومع ذلك نجد يوسف عليه السلام يقول:﴿.. لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا..﴾ فهو (ظن) أي أنه لم يكن ليقطع بعلم، لأن هذا العلم من علم الغيب، وما أطلع عليه يبقى محفوظا. وكذلك يوسف نفسه بالرغم من علمه بتأويل الأحاديث لم يعلم تأويل رؤيته إلا عند تحققها فعلياً ﴿.. وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا..﴾.

كما نجد في كتب الحديث كتاب التعبير، كما في البخاري مثلا (باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح)، فكل الرؤى تحتاج إلى تعبير مهما وضحت صورتها، حتى رؤيا الأنبياء. فيبقى الغيب محجوبا ومرصودا. فلا تقع على حقيقتها! فلماذا نفهم كلام الرسول مثلا عن الدجال على الحقيقة وليس المجاز ولقد وردت روايات عن هيئته في روى منامية!

الضابط الثالث: هناك قوانين وسنن حاكمة لهذا الوجود: وهي ما يسمى في القرآن ب "سنة الله" التي لا تتبدل ولا تتغير، وخصوصاً بعد ختم الرسالة، فهذه القوانين سواء فيزيائية أو كيميائية أو إجتماعية .. ، أصبحت ثابته مستقرة. وعلى أساس إنتظامها يكون الإبتلاء والإختبار في هذه الدنيا:

﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً﴾(الإسراء17:آية77)

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا﴾(الأحزاب 33: آية 62)

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا﴾(الفتح 48: آية 23)

فسنة الله السائرة في هذا الكون لا تتحول ولا تتبدل، والناظر إلى هذه السننية في الكون، يرى الإبداع الرباني، و"الهندسة" الناظمة والإنسجام بين كل الخلق﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾(الحجر 15: آية 19)، وعلى أساس هذا الإنتظام جعلت المعايش والأرزاق. فهو

﴿بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، والسننية المبثوثة في آيات القرآن هي الهادية للمؤمن في سيره في هذه الحياة، فهي أمامه نورا وضياءا وما يحتاج إليه هو تطبيقها، والسير على هديها.

هذه السنن لا تتغير ولن تتحول لا لدجال ولا لغيره، وعلى أساسها يجب إعادة فهم النبوءات، فكما ورد على سبيل المثال بعض صفات الدجال: (يدخل كل بيت، وتلحقه خيرات الأرض كيعاسيب النحل، ومعه جبل من خبز، والمسافة بين أذني حماره أربعون ذراع، ويحي ويميت، وينزل المطر....) هذا إذا فُهِمت كما هي لدى الفهم الحرفي، فكل هذا "خرق" للسنن الكونية، المنتظمة التي سار عليها الكون، ولا يصح القول بأن الدجال لأنه فتنة فيُجوز أن تُخرق له السنن الربانية في الكون!

وهذا يقودنا إلى المبدأ الرابع.

الضابط الرابع: أن الله عز وجل لا يعطي الآيات لإعجاز البشر أو إضلالهم وإنما لهدايتهم: لو رحنا ننتبع كل الآيات التي أعطيت للسابقين، وهي للأنبياء والمرسلين، لوجدنا بأنها أعطيت لهم لهداية البشر وإرشادهم إلى الله، وليس لإجل إغواءهم وإضلالهم. فعلى سبيل المثال إذا صحت (خوارق) الدجال فهي تخرم هذه السنة الربانية. فهو بخوارقه يفتن ويغوي البشر، بما لا يطيقون ولا يعلمون. وبذلك يستحيل أن تكون فتنة الدجال كما نتصورها لسببين، أولاً أنها تخالف سنة الله في هداية البشر، ثانياً: أنها تفتن البشر وتمتحنهم بما لا يطيقون.

الضابط الخامس: نقيس ما جاءنا من أنباء الغيب والمستقبل بمقياس القرآن: فالقرآن هو الهادي وهو المبين، وقوله الحق، فالقرآن حق مطلق، وهو ميزان لما اختلف فيه: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾(الشورى 42: آية 17).فالميزان هنا المقصود به أن آيات الله وكلماته موزونة، فإذا أردنا أن نأخذ شيء فمن هذا الكلام الموزون المضبوط، أو بالتعبير القرآني (مُحكم)، وإذا إختلفنا في شيء فنرده إلى المقياس والميزان الذي هو القرآن، فإذا طابق الميزان والمواصفات أخذناه

وإلا عدّلناه وصححناه حتى يصبح مطابقاً لما هو موزون. فتكون كل أفعالنا وأقوالنا موزونة بميزان الله – سبحانه وتعالى–. وعلى هذا القرآن نقيس كل ما ورد لنا من أخبار الغيب، فما وافق مباديء القرآن أخذنا به، وما خالفه نظرنا فيه حتى نتحقق.

العوامل التي أثرت على فهمنا للغيب

وهناك عدة عوامل سلبية ساهمت في تشكيل الفهم المعاصر العقل المسلم في تعامله للغيب:

الإسرائيليات: دخل على الثقافة الإسلامية، بطبيعة الحال، وبسبب الإختلاط بثقافات أخرى، العديد من القصص والأفكار التي لم تكن بالضرورة جزءاً من الثقافة الإسلامية الصافية، ولذلك جاء القرآن للتنبيه على هذا في قوله تعالى:﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ **مُصَدِّقًا** لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ **وَمُهَيْمِنًا** عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة 5: آية 48)، إذا الروايات والقصص التي تدخل إلى الثقافة الإسلامية يجب أن تحدث لها غربلة، فهي عملية تصديق فيما وافق الكتاب، أما ما خالف فالهيمنة للكتاب.

فمثلا عوداً على موضوع الدجال، نجد بأن جزء من أخباره جاءت عن أناس كانوا غير مسلمين. وأسلموا، فربما إختلطت وتداخلت القصص عليهم، أو روها ونقلوها بناءا على خلفيتهم المعرفية السابقة، مثل حديث تميم الداري عن الجساسة.

تسيس الغيب خدمة لمصالح الحكام: لقد تأثرت بعض روايات الغيب وخصوصاً فيما تعلق بالقضايا السياسية بتوجيه الحكام، فأصبحت بعض القضايا توجه سياسياً. فبعض ما نقل لنا من أخبار الغيب

وأشراط الساعة والنبوؤات المستقبلية لم يسلم من التغيير والتحريف والإضافة والتوظيف السياسي، كما حدث في أخبار المهدي والدجال، وقرن الشيطان .. وغيرها.

حصر الدين في نظام إقامة المناسك وإهمال نظام إقامة الممالك: الثقافة الدينية الشائعة أنتجت ثقافة اجتماعية احتضنت التخلف السياسي والمدني، كما يفصل فيها الحامد في كتابه(لكي لا يكون القرآن حمال أوجه)، وأن حرارة العواطف الدينية، إذا لم تقترن بالبصائر الثواقب التي تنبثق من حقائق الحياة، انتجت اتجاهات ثقافية ساكنة خاملة، فأفرزت الثقافة قيماً وأعرافاً منهزمة عاجزة، تناقض روح الدين، وإن استشهدت بنصوصه. فهو يرى أن كثيراً من المدارس الدينية تنشر القيم والاتجاهات السلبية، التي تضخ في السلم الجمعي قيماً تحمي التخلف السياسي، الذي يعتبره أبو الخبائث والكوارث اجتماعية واقتصادية وتعليمية، بصدها عن القيم المدنية، التي كان تهميشها هو الشق في سد (مأرب) الذي خرب حضارة (سبأ)[21]. هذا التركيز على إقامة المناسك دون الممالك، وحصر المناسك على الشعار التعبدية المحضة، غيب القيم العليا التي جاء الإسلام ليعززها ويعلوا من شأنها، من مثل العدل الإجتماعي، وقيمة الحرية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر السياسي وثقافة الشورى... غياب هذه القيم العليا، على حساب الشعائر حصر الدين في دائرة الممارسة الفردية، فحين أن المطلوب في فقه العواقب هو فهم القضايا الكبرى التي تعيشها المجتمعات.

تباطؤ وتوقف حركة النقد الذاتي للموروث، وتعاظم الآبائية: لقد تم إضفاء نوع من القداسة على الموروث الفقهي والتراثي، والذي حال دون غربلته وإعادة النظر فيه على ضوء المستجدات العلمية وتطور علوم الإنسان والطبيعة. فهذا الفكر هو في النهاية فكر بشري، وليس له عصمة من أي نوع، وجزء كبير مما عليه الأمة من أحوال هو مما وصلت إليه في أفكارها. ويصف الحامد حال الفقه في هذا العصر:"لقد

[21] الحامد.أبو بلال عبدالله، 2009، لكي لا يكون القرآن حمال أوجه، المصبتح في زجاجة، ، ص44

ران التقليد حتى تحول التجديد إلى تقليد، أخل بنظام الأولويات، بل ونظام التوازنات"[22]فيجب إعادة التأسيس الفكري للفقه السياسي والحضاري على ضوء القرآن وما صح من السنة. فمن سبقنا من علماء إجتهدوا وأثمروا وأدوا وسعهم لبيئتهم ومجتمعهم، ولذلك وجدت المئات من النوابغ، فلم يقفوا عند فكر أحدهم، ولم يستصغروا أنفسهم فيمتنعوا عن الإبداع والعطاء.

ولكن أصيبت الأمة بالشيخوخة الفكرية عندما توقفت عن توليد الأفكار والآباية التي حذر منها القرآن في مواضع كثيرة:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ **قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا** أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾(المائدة 5: آية 104).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ **قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا** أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة 2: آية 170)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ **قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا** أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (لقمان 31: آية 21)

"إن الفقه يمكن أن يكون قوياً وإيجابياً وإبداعياً خلال حقبته الزمانية وظروفه المكانية، إلا أنه لا يمكن أن يستمر على هذا النحو إلا بالتجديد والتطوير المستمر بقدر تطور المعرفة والإمكانات والظروف البشرية"[23] لأن الفقه هو قراءات اجتهادية لوحي ضمن مرحلة معينة وبظروف معينة، فإذا تغيرت الأحوال والظروف فلا بد من تغير الفقه، وهذا من مرونة التشريع. فالإسلام يحض على الإبداع والتجديد، وعدم الركون الى الآبائية والخمول، والتسليم بالطرائق المعهوده. المعهودة

المرجع السابق

[22]الحامد.أبو بلال عبدالله، 2009، لكي لا يكون القرآن حمال أوجه، المصبتح في زجاجة، ، ص35
[23]الخليفة. إبراهيم. 2009، تجديد فهم الوحي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان ، ص10

التبعية للغرب والانبهار بحضارتهم (ما علاقة هذا بالعنوان ؟)

الإنشداه الحضاري والتبعية للغرب: أدى ضعف الأمة الإسلامية في إيمانها وفي علوم الحياة إجمالا، إلى تسلط الأمم عليها، مما ولد تبعية مادية إستوجبت تبعية معنوية أيضا، واستمر هذا الحال لعقود طويلة، ونظرا لتقدم وتطور المستعمر في المجال المادي والعلمي، حدث نوع من الإنبهار الحضاري، فأفقد الأمة قدرتها على النقد والتمحيص والتميز البناء، فأصبح للكثيرين الغرب قبلة، وإليه تتوجه بوصلتهم. وغدت الحضارة الغربية فتنة أعمت البصائر. فزهدوا في الوحي، وركنوا إلى ما يأتيهم من هذه الحضارة المتقدمة.

ضمور الحركة العلمية البحثية: إن فقه العواقب والإعداد للمستقبل أحد أهم متطلباته وجود حركة علمية نشطة، تسبر أغوار الكون، وتكتشف نظرياته وقوانينه الناظمة، ففهم الكون المنظور (الحياة) أساس في فهم الكون المقروء (الكتاب)، والعكس صحيح، وبينهما إقتران غير منفك، فالعلاقة تفاعليه مرتبطا بين فهم الكتاب وفهم الكون. وتخلف الجانب العملي وضعف مراكز البحث، وشح الإنفاق على الأبحاث والدراسات، وتسرب المبدعين والعلماء من البلاد الإسلامية، نتج عنه تخلف المسلمين وتقدم غيرهم. والتقدم العلمي تقدم بطيء وثقيل، وهو إضافات صغيرة ومحدودة في الغالب إلى الرصيد العلمي، ولكن على مر السنين يحدث التراكم، وإضاءة الدروب أمام فتوحات أكبر.

الإنفصال بين الحركة والبركة: أدى شيوع التصوف البارد، المرتكز على معالجة الأخطاء الشخصية، وجلد الذات، والفهم المغلوط لمفاهيم القسمة والنصيب، والقضاء والقدر، والبركة، وإنفكاك العلاقة بين أجر قراءة القرآن، وأجر العمل به. فأضحى القرآن يقرأ للبركة، أي أن الإنسان يؤجر على قراءة القرآن حتى لو لم يخالط روحه ووجدانه وينعكس على عمله وتصرفاته. وشيوع مفاهيم من مثل قول الشاعر الصوفي:

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون

العزو

ورُبط صلاح المرء الروحي بصلاحه العلمي، بشكل تلقائي، واستدلوا بشكل مغلوط على هذا بقوله تعالى:﴿... وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ... ﴾(البقرة 2: آية 282). وحصروا التقوى في الصلاح الفردي، وعزلها عن الصلاح المجتمعي (سياسة واقتصاد واجتماع..) والله سبحانه خاطب الجماعة، ولم يوجه خطابه للفرد، فلم يقل واتقي الله ويعلمك الله! نتج عن كل هذا إنزواء عن التفاعل الحقيقي في مناحي الحياة، والتسليم بفعل الأقدار، وضعف الفهم للنظم المسيرة للحياة وكيفية عملها. وغدت أقوال مثل (أن كل شيء مقدر وكتوب) هو المشكل لأنماط التفكير السائدة.

أنوار قرآنية تنير دربالسائرين في تعلم فقه العواقب

لقد أودع الله سبحانه وتعالى كتابة الكريم، أنوارا كاشفة للسائرين، وذكر لهم قصصا وعبرا، ومن رحمته تعالى أنه سجل في كتابه ذكر أقوام وأمم قد خلت، ولولا ذكرها محفوظة في كتابه، لتخبط الإنسان في معرفة مصيرها وعواقبها. فهؤلاء الأقوام جاءوا كنماذج ليدرسها ويتدبرها المسلم، فهو يتناول أخبارهم كما يتعامل العالم مع عينته في المختبر، يضعها في ظروف معينة، فيراقبها لفترة قد تستمر لسنوات، يخرج بنتائج تعمم على العالم في ذلك الحقل المعرفي.

فنجاح عملية التجديد الحضاري للأمة الإسلامية والحضارة الإنسانية ككل، ترتبط وبشكل جذري بالتحول النوعي العميق في المنظومة الثقافية للإنسان المسلم خاصة، والإنسان المعاصر عامة، على طريق الوعي السنني المتكامل، الذي يمتد لاستيعاب سنن الآفاق، وسنن الأنفس، وسنن الهداية، وسنن التأيد، وسنن التسخير...في نسق معرفي منهجي متكامل[24].

والله عز وجل وصف كلامه سبحانه بأنه:﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ (الطارق 86: آية 13-14) فلا منازع ولا خلافات ولا تردد، فيعتمد المسلم على قاعدة صلبة، من الحقائق الراسخة: ﴿وَكَذَلِكَ

[24] برغوث، 2006، ص53

نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام 6:آية 55)، ﴿...قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة 5: آية 15)... فهو منير بذاته، منير لغيره، ومبين لغيره.

ويأكد البرغوث على قصور العناية بالمنحى السنني في الثقافة الشرعية المتوارثة، بسبب النزعة التخصصية المحددة في بعض المؤلفات، والنزعة الجزئية المستغرقة في الجزئيات في البعض الآخر، والنزعات الروحانية الذاتية المستغرقة في الخرافة أحياناً... وغياب أو ضعف نمو منظومة العلوم النقدية التركيبية الجامعة، حالت دون تأسيس وبناء صرح هذه النظرية (النظرية السننية) أو الرؤية الكلية المتناسقة، في فلسفة التاريخ والحضارة"[25].

يعلق الراشد عن ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم- أثنى على قول طرفة بن العبد في معلقته:

(ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً)، قائلاً: " فإن صح هذا فهو شاهد على المعنى في حركة الحياة تكتمل معانيها، وهو أن الإحاطة بوصف الأشياء والحوادث تبقى ناقصة، واستشراف المستقبل لا ينال الإتقان كله مهما برع القائس وتعمق المتفرس، ولا بد أن تبقى بقية مبهمة تكشف عنها مراحل لاحقة، والأسرار جزء منها فقط، وأكثرها عوامل قَدَرية لا تحتملها الأقيسة ومعادلات المقدمات والنتائج"[26]. فليس مطلوباً من المفتي أن يرسم صورة كاملة واضحة المعالم للمستقبل، بل هي خطوط عامة، أولية، قابلة للتعديل مع مرور الوقت، وكلما استجدت معلومات، وتعمق الفقه بالمسألة زاد فهم وفقه المستقبل بشكل أفضل.

والدراسات المستقبلية قد تمتد لمئات السنين عمقاً في التاريخ، وهي ليست وليدة أحداث آنية طارئة، وآثارها ممتدة، ولنا في قصة موسى عليه السلام والرجل الصالح عبرة، فأبُ الطفلين كان صالحا، ولا ندري هل هو الأب المباشر أو أحد الأجداد الصالحين، فميزان المؤمن، ونظرته للأحداث، لا تتوقف عند حد

---

[25] البرغوث، 2006، ص39

[26] الراشد، محمد أحمد، 2009، مرح الفطرة، سلسلة إحياء فقه الدعوة، دار الأمة، الرياض، ص 23

معين، فالعمل الصالح، وإن تراخى وقت جني ثماره، إلا أنه لا يموت ولا يزول. وكم هي الأحداث الكبرى في فجر التاريخ ما يزال أثرها وتأثيرها ممتدا إلى وقت الناس هذا، سواء خلافات سياسية، أو نزاعات مذهبية، أو هجرات قبلية وعائلية.

"لم يدرس القصص القرآني بعد دراسة سننية متكاملة، تضعه في عمق سياقه المعرفي الحقيقي، الذي يتجاوز نطاق التأريخ، إلى نطاق فلسفة التاريخ والحضارة، بل ويتجاوز نطاق التقرير المباشر للأحكام الفقهية والآداب الشرعية، إلى نطاق تلمس الأبعاد والدلالات السننية الكامنة والفاعلة باطراد"[27] وهذا نقص وقصور خطير في منظومتنا المعرفية، وكان له ما بعده من التأثير السلبي العميق في أدائنا الحضاري عامة. فالجهد الإنساني حتى يكون جهداً تجديدياً ذا نفس حضاري يجب أن يرتقي إلى الوعي بسنن التسخير والاستخلاف، اكتشافاً وفهماً[28].

هناك منهجية قرآنية سارية فيه وهي ما يسميها البرغوث ب "الدورة الوجودية" للإنسان، بحيث ترتبط الأحداث والمواقف الجارية .. بجذورها في الماضي والتاريخ، وبامتداداتها ومآلاتها المستقبلية[29]. ويدعو إلى قراءة نصوص الملاحم والفتن قراءة سننية تسخيرية، بعد أن تعطل فهمها بسبب القراءتان الانتقائية التلفيقية، والتجزيئية الآلية[30].

"إن القصد في الدراسات ذات الأفق أو الطموح أو المنحى السنني، هو باستمرار البحث عن روح السنة أو القانون، أو القواعد الكلية في الظواهر والأحداث والتجارب والخبرات المحلية أو الإنسانية، وليس الوقوف عند ظواهر وأشكال وجزئيات هذه الظواهر والأحداث والخبرات والتجارب، التي لا تذكر إلا من باب الشواهد والعينات التحليلية، أما العبرة والقصد فهما لتأصيل كليات الوعي، واستخلاص قوانين وسنن الله في الخلق والاستخلاف والتسخير والوقاية الحضارية، وبثها في المناخ الثقافي والتربوي

---

[27] برغوث، 2006،ص129
28مرجع سابق ص195
29مرجع سابق، ص186
30مرجع سابق، ص 173

المرجع السابق

والاجتماعي للمجتمع والأمة، ليتم استيعابها وتمثلها في حركة المعرفة والتربية والالتزام والدعوة والبناء والمواجهة". وأن" الحس القانوني السنني، هو الهدف الذي يجب أن تتمحور حوله العملية التربوية، لبناء العقل المنهجي المنظم، القادر على الإبداع والإضافة والتجاوز.."

ومن هذه الأنوار المبثوثة في القرآن:

إنتظام الكون

هذا الكون بتساعه، وعمقه الزماني والمكاني، كون منتظم، أي يسير في نظام، وخلق لهدف وغاية، وأن عناصره برغم تنوعها الغير محصور هي منسجمة مع بعضها، وبمعرفة هذه الحقيقة إستطاع الإنسان من الأزل أن يجري تجاربه وأبحاثه على أساس هذا الإنتظام، يقول تعالى:﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(القمر 54: آية 49)، وأن ما في الكون يجري لغاية وأجل:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(لقمان 31: آية 29)، وأن سيرها بحساب دقيق موزون لا يختل ولا يضطرب، ولا يطغى:﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ (الرحمن 55: آية 5).

و" إن القرآن لا يقر فقط بوجود هذا النظام الكوني العام، بل يجعل من هذا المبدأ وسيلة استدلال على وجود اللهسبحانه وعلى وحدانيته...كما أن وحدة النظام في هذا العالم تدل على أن الخالق واحد فقط"[31]، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (المؤمنون 23: آية 91)، ومبدأ الوحدانية هي التي توجه الكون لغايات محددة لصلاح الإنسان وغيره من المخلوقات.

[31]بلكا، إلياس، 2009، الوجود بين السببية والنظام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، فرجينيا، ص

يرى الراشد في رسالته (الاستدراك الواعي) أن مقدمة ابن خلدون تضع نظرية شمولية لحركة المجتمع وقواعد وموازين عامة، وإن (معيد النعم) للسبكي يضع ما يكملها من الرصد الجزئي والملاحظات التفصيلية التنفيذية لتصويب حركة المجتمع، فالكتاب الأول (مقدمة ابن خلدون) يكشف معادلات من حركة الحياة، من خلال التعرف على الإنحرافات الإجتماعية، والكتاب الثاني (معيد النعم) يضع الخطوات الواقعية لإصلاح الخلل والإعوجاج عبر وسائل الوعظ والرقابة والتربية[32].

الحياة كتلة حية واحدة، منسجمة متكاملة في بنائها ومفرداتها، والقادر على رصد هذه المفردات وتجميع الشظايا في قواعد وقوانين، يستطيع أن يفهما ويسيطر عليها أفضل، ومن ثم يكون أقدر على صناعة أقدار الخير[33].

" ومن يدرس القصص القرآني، ومنظومات القيم الأخلاقية والاجتماعية والسياسية فيه(...) على سبيل المثال، يرى فعلاً مدى العناية الفائقة التي أولاها الإسلام لظواهر الضعف والتخلف والانحاط، ويقف على الثروة المعرفية الكبيرة التي تتوافر عليها المادة القرآنية والحديثية في مجال تحليل وتفسير ومواجه أو معالجة هذه الظواهر الحضارية الخطيرة"[34].

لا يستطيع العقل البشري ان يستقل وحده بمعرفة والإحاطة بالمفاصل والقوانين السننية الكلية، الناظمة لحركة التاريخ وصيرورتها الخضارية المتعاقبة، فهو بحاجة إلى الوعي الرسالي الذي جاء به الأنبياء عبر الزمن[35].فهذا الجريان على السنن الطبيعية لمطردة، إذا فهمه الإنسان، إستطاع أن ينتقل إلى المرحلة التالية، ألا وهي فقه سنن التسخير.

---

[32] الراشد، محمد أحمد، 2008، الاستدراك الواعي، سلسة إحياء فقه الدعوة، دار الأمة، الرياض، ص 5

[33] الراشد، محمد أحمد، 2011، صورة الحياة، سلسة إحياء فقه الدعوة، دار الأمة، الرياض، ص5

[34] برغوث، الطيب، 2006، مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية على ضوء نظرية التدافع والتجديد، مركز الراية للتنمية الافكرية، دمش، ص 61

[35] مرجع سابق، ص59

خاصية التسخير

الكون مسخر للإنسان، في السموات والأرض والبحار:﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ (لقمان 31: آية 20).فهذا التسخير، ليس منحصرا على المسلم، وإنما هو للبشر جميعا، ولكن المسلم أدعى وأولى في إكتشاف سنن التسخير، لعدم وجود الران على قلبه.

ولكن يجب الإنتباه إلى أن هذه السنن لا تسير منفردة، فاكتشاف سنة من هذه السنن الربانية، لا يعني بالضرورة أننا استطعنا تسخيرها لصالحنا. وإنما السنن تتداخل، فعلى سبيل المثال، الإنسان في العصر الحديث يعيش في الغالب 60-70 سنة، وبالرغم من إضطرام هذه السنة، ولكنها تتأثر بسنن أخرى، مثل لو كان الشخص يمارس الرياضة، ويأكل أكل صحيا، ويعيش في بيئة آمنة، ومستوى الرعاية الصحية متقدم، فهو (كما هو الحال في الدول المتقدمة) يعيش سنوات أطول مقارنة بدول أخرى. ففهم سنة واحدة لا يعني فهم كل ما تأثر فيه هذه السنة، بل الإنسان يبقى في سعي حثيث لإكتشاف مزيدا من السنن.

"أما في النهاية فإن مفاد الملاحظات القدرية هو الذي يحسم القضية، وقد علمنا أن الله تعالى بيده الأمر، ويرسل من أقداره ما فيه إعانة للمسلمين الذين يلتزمون التقوى إذا عملوا بالأسباب التي يجعلها مظاهر لقدرته سبحانه، إنما تسير الحياة وفق قوانين ثابته، فالجاد يهزم الهزل، والمنتظم يتفوق على الفوضوي، والمصلي أثبت من الماجن، والعادل ينصر على الظالم، في متوالية تستمر يغب فيها كل حق وصواب وإيجاب ما يقابله من باطل وانحراف وسلبية، والتواريخ فيها ألوف شواهد على سريان هذه الظاهرة"[36].

[36] الراشد، محمد أحمد، 2009، مرح الفطرة، سلسلة إحياء فقه الدعوة، دار الأمة، الرياض، ص 38

قانون المدافعة

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة 2: آية 251)

يقول ابن عطية: (أخبر الله تعلى في هذه الآية أنا لولا دفعه بالمؤمنين به في صدره الكفرة على مرّ الدهر لفسدت الأرض، لأن الكفر كان يُطبقها ويتمادى في جميع أقطارها، والله تعالى لا يُخلي الزمن من قائم بحق، وداعٍ إلى الله، ومقاتل عليه، إلى أن جعل ذلك في أُمة محمد-صلى الله عليه وسلم- إلى قيام الساعة فله الحمد كثيراً)[37].

وأن لا أتفق تماماً مع تفسير ابن عطية، فالمدافعة ليست منحصرة من جانب المؤمنين تجاه الكفار، ولكنها مدافعة عامة، كما أخبرنا تعالى، بين البشر جميعاً، فالكافر يدافع المؤمن، مما يحفز ويدفع المؤمن إلى مزيد من العمل وفعل الخيرات. وإلا لولا هذه المدافعة لتراخى المؤمن، فلا تحدي ولا منافسة.﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت 41: آية 34).

فالأقدار تتصارع، وما مقولة عمر رضي الله عنه عن صارع أقدار الخير بأقدار الشر إلا فهم ثاقب عُمري، لسنن الله في هذا الكون وكيف تعمل. فهذه الأقدار التي نتحرك خلالها وفيها، جزء منها صنعة أيدينا ونتيجة أفعالنا، وجزء منها، صنيعة آخرين، وتتجاذب الأقدار وتتداخل، ليتحقق في النهاية مراد الله سبحانه، والمشاهد المتابع الخارجي، قد لا يفطن إلى هذا التجاذب والصراع القدري بين الأقدار المختلفة، فيحسبها، أنها صنيعة إنسانية بالكامل، وهنا العظمة، حيث كما يُقال: أنا أريد وأنت تريد ويفعل الله

[37] تفسير ابن عطية 372/2

مايريد، ﴿...ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ (طه 20: آية 40). فكلما فهمنا الحياة نستطيع أن نسيطر على أقدارنا بشكل أفضل، وهذه قد تثير حساسية لا زالت تُثير منذ عهود طويلة وهي علاقة الإنسان بالقضاء والقدر.

تبعية الأضعف للأقوى

تبعية الأضعف للأقوى والأذكى والأعلم، من سنن وظواهر الحياة، فنلاحظ بأنه كلما زادت كتلة النواة من نيورتونات زادت عدد الإلكترونات التي تدور حولها، وهذا أمر مضطرد في الحياة، فلا يقود الحياة ضعيف ولا رعديد ولا غبي:﴿...يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(المجادلة 58: آية 11). والإرتفاع هنا ليس فقط إرتفاعاً حسياً بل معنوياً، وإلا فهو خلود إلى الأرض.﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(الأعراف 7: آية 176).

ولا يشترط للأفعال أن تعطي أكلها في حينها، فكما يوسف عليه السلام خطط لـ15عام لاحقة، واستطاع أن يتجاوز بالمنطقة أزمة إقتصادية طاحنة، بسبب حسن تدبيره وإدارته، وذلك دون مقابل، ودون مساومات، أو مصالح شخصية، وخلاصة الخطة تتركز في (دَأَبًا) و (حَصَدتُّمْ) و (تُحْصِنُونَ)، فهي مجموعة من العمليات المنتظمة والدؤوبةوالشاقة،تستمر لسنوات وتتطلب حكمة وتخطيط مستقبلي ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ **دَأَبًا** فَمَا **حَصَدتُّمْ** فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ، ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا **تُحْصِنُونَ**﴾ (سورة 12: آية 47-48).

وبحكمته وإحسانه وتجويده للعمل، إستطاع أن يجعل من المنطقة الجغرافية التي يشرف عليها محط أنظار البشر، وأصبحت الوفود تأتيه راغبة في نتاج عمله الدؤوب لسنوات، حتى أن مصر أصبحت كما وصفها

تعالى:﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاء نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(يوسف 12: آية 56). وهذا دليل على إتساع نطاق حكمه وسيطرته، وتأثيره على الشعوب والمناطق التي حوله، نتيجة لإحسانه في عمله. وهذا التمكين في الأرض جاءو بنفس الصيغة، وصفا لذي القرنين:﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾(الكهف 18: آية 84). والإشارة بأنه أوتي من كل شيء سببا، دليل على أن التمكين في الأرض له شروطه ووسائله وأسبابه.

عدم تساوي نتائج الإيمان والصبر والتقوى مع الكفر والفسوق والعصيان

في سورة السجدة، بعد أن أخبر الله تعالى بأنه عالم الغيب والشهادة، مباشرة ذكر سبحانه مراحل تطور الإنسان من طين ثم مرحلة التسوية ونفخ الروح، وهذه الحقائق كانت غائبة عن البشر، إلى أن جاء العلم الحديث، بأجهزة التصوير والمختبرات ليؤكد على هذه الحقاق العلمية، فهذا التذكير بآيات الله له تبعات لمن يتعظ، وله عواقب وخيمة لمن يعرض عنها، فلا يتساوى الأمران فإما إلى جنات المأوى وإما إلى النار:﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾(السجدة 32: آية 18). ثم أخبرنا سبحانه عن موسى وبني إسرائيل، وبماذا ينال شرف الإمامة في الدين:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(السجدة 32: آية 24). فعلى أساس الصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، ومن خلالهما يتحقق الفتح. هذا الفتح الذي كان يسأل عنه المكذبون:﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(السجدة 32: آية 28).

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت 41: آية 23).

هذا الإرتباط الإيماني بخالق الكون، والسير على هداه، يوفر على المؤمن الجهد والوقت والمال في الخوض في تجارب حياتية ليكتشف بعدها بسنوات وربما بعقود بأنه كان سائرا في طريق نهايته وخيمة، مثل الأنظمة الإقتصادية القائمة على الربا والإستغلال وإستضعاف البشر، وبرغم من التعقد الظاهري لهذه

الأنظمة، وأنها تُدرّس فيما يسمى (بأرقى جامعات العالم) وأُلفت حولها آلاف الكتب، إلا أنه وبعد وقوع الطامة، يكتشفوا بأن الربا عواقبه إلى حبوط وزوال، وأن آثاره المدمرة لم يسلم منها إلا من إعتزلها ومتنع عن التعامل بها:﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ (آل عمران 3: آية 22)، وإلى محق:﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (البقرة 2: آية 276). ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾(البقرة 2:آية 17).

فما فائدة كل العلم والإنجازات، إذا كنت بُنيت على جرف هار، فنهارت وزالت، بسبب تجاهل مبدأ أساسي، وهو عدم التعامل بالربا! فالمؤمن أبعد ما يكون للوقع في مثل هذه المزالق.

فهذا الغزل الذي تشكلت منه شباك العنكبوت تكون بجهود وقوة، ظهرت في تصميم البيت المتقن:﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا... ﴾ (النحل 16: آية 92)، ولكنه في النهاية بيت هش يزول بسهولة، بالرغم مما أنفق به من قوة!

وبعد ضرب هذا المثل في المثل في القرآن، تأتي القاعدة القرآنية:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ (النحل 16: آية 97)، وعمل الصالحات، ليس له هيئة أو وصفة معينة، فكل عمل صالح مطلوب، وكلٌ مقدر لما خلق له.

فإما إتباع لطريق الرحمن، بالنور الذي أنزل معه، أو اتباع لخطوات الشيطان، فلا طريق ثالث، حتى لو صدقت النوايا في البداية، وحتى لو سلمت من المغريات ودواخل النفس، ولكن لا نضمن إلى أين تؤول الأمور وتتجه، فكم من الإختراعات والإقتراحات، التي كان منشأها خير وحسن وفي خدمة الإنسانية،

ولكن بعد عهود، وللبعد عن الهداية الربانية آلت الأمور إلى خراب وتدمير وإساءة: ﴿...وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(البقرة 2: آية 168).

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾(لقمان 31: آية 22)، فالعواقب الحسنة والختام الصالح، يحتاج إلى إستسلام الإنسان لمراد الله، والإحسان فيما يقوم به من عمل.

الأصل في السلطان أن يكون للمؤمن، ويفقد المؤمن هذا السلطان إذا سار في سبيل الغواية والضلال:

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾(الحجر 15: آية 42).

"ووجود المسلم حتمية من حتميات التاريخ الماضي والحاضر وإنها لحتمية ماضية إلى يوم القيامة."والحق هو قوام هذا الوجود، فإذا حاد عنه، فسد وهلك ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾(المؤمنون 23: آية 73) ومن ثم فلا بد للحق أن يظهر، ولا بد للباطل أن يزهق. ومهما تكون الظواهر غير هذا فإن مصيرها إلى تكشف صريح: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾(الأنبياء 21: آية 18)"[38].

تكن : ومهما تكن عند امرىء من خليقة

الظن الحسن والظن السيء

فيجعل

يرتبط بالعامل السابق، أن المؤمن في كيانه كله، مرتبط مع الله، يطلب العون والمدد منه، فهو مستبشر متفائل، وهذا البشر والتفائل يوجه الطاقات للعمل البناء، فتجعل المؤمن مترصداً متحفزاً لإقتناص الخير، فلا سوء ظن، ولا إلتفات وتوقف عند صعوبة، بل يبقى تركيزه منصباً على فعل الخيرات وإجتناب المنكرات، فهو يستدعي أقدار الخير ويبحث عنها دؤوبا، ويتجنب أقدار الشر:﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت 41: آية 23).

---

[38]الراشد. محمد أحمد. 2005، المنطق، مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان، ص 64

"الانتصارات ميدانها النفس الإنسانية حين تأبى وتطمح، وليس ميدانها السلاح، بل حين يستبد الطموح تتضائل محركات السوء المقابل ويبدو العمالقة أشبه بالأقزام، فإن في الأمة اليوم مشاعر ثورية، وعزائم جهادية، ورغبة في العناد، والتفاف حول الدعاة، وبوادر عودة إلى الوعي "[39].

وأن مع العسر يسرا، وأنه مهما أشتد الأزمات، وإدلهمت الخطوب، وساءت الأحوال، فلا يجزع المؤمن، وإنما هي من السنن القدرية، بأن العسر يحمل معه بذور اليسر، وهذه البذور تحتاج إلى إكتشاف ورعاية، فهي لا تنبت لوحدها، بل بحاجة لمن يرعاها، ولأن ينصب واقفاً راغباً، ليرتفع شأنه،وإن ثقلت المصاعب فأنقضت الظهر، وخير الخلق محمد عليه الصلاة والسلام كان من الممكن أن تأتيه الحياة سهلة طرية، ولكنه القدوة والمثال، والأسوة الحسنة، وبهداه نقتدي. طالبه الله سبحانه بأن ينصب.

العلم لا يعطي لمتكبر

تواضع المسلم، وإنفتاح قلبه على الخلق جميعاً، يفتح عليه آفاق معرفية، يرصد فيها الحركات، ويفكر فيها في العواقب، محاولاً فقه حركة الحياة، فهو يتعلم من النملة والنحلة والذبابة..، فلا يشغله عن الإرتباط بالحياة لإعمارها صارف:﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ﴾(الأعراف 7:آية 146)، فلا غفلة ولا فتور ولا تكبر، بل حضور وعمل دؤوب وتواضع.

البصائر مقابل العمى، والنور مقابل الظلمات

﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾(الأنعام 6: آية 50).فإتباع الوحي، هو السير على

[39]الراشد، محمد أحمد، 2007،رؤى تخطيطية، سلسلة إحياء فقه الدعوة، دار الأمة، الرياض، ص17

بصيرة، وإن كان أكثر الناس علماً (وهو الرسول) ليس عنده خزائن الله وما فيها من خير ولا يعلم الغيب وما يخفي له المستقبل، إلا أن المؤمن بالموازين الربانية يرتفع ويتقدم على الأعمى الذي لا يهتدي بخير ولا يتفكر.

المسلم يؤمن بأقدار الله عز وجل وأن للنتائج أسباب ومقدمات، ولكن إيمانه ليس كإيمان الإنسان المادي، الذي لا يرى إلا أنصاف الحقائق، أو كما وصفه الله تعالى:﴿..يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا..﴾.ولكن الحقائق الإيمانية وأساسيات الدنيا الكثيرة المبثوثة في كتاب الله، توفر على المسلم نصف الطريق، فهو بإيمانه بها، ومدارسته لها، يكون معتصماً بالحبل الوثيق،فيمتنع عن الدخول في مطبات قد تهوي به في المزالق، يجتنبها بإلتزامه بتعاليم الوحي. وما من إنسان إلا ويسعى إلى سعة العيش وبحبوته، وما من أحد يسعى إلى ضنك العيش وضيقه، ولذلك قال عز وجل، إن الطريق المؤدية والنتيجة الواصلة إلى ضنك العيش هي: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾(سورة طه 20: آية 124)، والعمى هو عمى معنوي عن حقائق الحياة الكبرى:﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾(سورة طه 20: آية 126).

والآيات هي الدلائل والبراهين والحجج الواضحات التي ترشد الإنسان كعلامات في مسيرة حياته، وإلا سار في تخبط على غير هدى ولا بينة ولانور. ومنها تلك الآية الواضحة التي جائت آية لاحقه ردا على تساؤل الإنسان:﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ (سورة طه 20: آية 128).

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(سورة فصلت: 41: آية 17)، فجحود قوم ثمود، ومن قبلهم قوم عاد، وغيرهم من الأقوام الضالة، وتعاميهم عن الحقائق والنذارات، أنزلت عليهم العذاب، بالرغم من أن من آمن منهم نجى، وهم

من نفس القوم، وفي نفس الظروف الإجتماعية المحيطة: ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾(سورة فصلت: 41: آية 18).

الختام والتوصيات

تناول هذا البحث موضوع الدراسات المستقبلية، محاولا التأصيل لهذا الحقل المعرفي الجديد، موضحا أهميته للمفتي، وإرتباطه بكثير من الآيات القرآنية التي تحدثت عن مآلات الأمور وعواقبها، ففصلت بالأمثلة والقصص القرآني الأدلة، على أن الحياة تسير على نظام وسنن معينة ومطالب المسلم أن يكتشفها ويتعلمها، وتناول هذا البحث الغيب وضوابط فهمه، الذي سوف يؤثر على طريقة فهمنا للنبوءات المستقبلية والغيب بشكل عام. واقترح إستخدام مصطلح (فقه العواقب) للدلالة على هذا الحقل المعرفي. وأشار إلى بعض الأنوار القرآنية في فهم فقه العواقب. وهذه بعض الإقتراحات والتوصيات:

- ضرورة إدخال دراسة فقه العواقب ضمن مناهج التدريس في الجامعات، حتى تتكون لدى الفقهيه والمفتي الخلفية المعرفية في أساسيات هذا العالم، لتكون أداة توظف في استشراف المستقبل، ضمن أصول علمية ومنهجية، على ضوء مبادئ التوجيهات الربانية.
- خبرات الدعاة لا تنمو في فراغ، ولا بعشوائية وفردية، وإنما تتطلب الإرتباط بمراكز بحثية متخصصة، حتى تتظافر وتتركز الجهود، وتوجه، فلا ينشغل الداعية في البحث على التمويل للمشاريع المدروسة، بل يتفرغ للعمل البحثي.
- يجب دعم الدراسات الجامعية العليا، لتأصيل واستشراف فقه العواقب، وإيجاد منهجيات بحثية مستمدة من تعاليم الدين.
- يجب دعم حركة الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية في هذا المجال الحديث، للإستفادة مما تم إنجازه إلى الآن في هذا الحقل المعرفي.

- يجب إشاعة فكر فقه العواقب وتبسيطه للناس، حتى يزيد الوعي به، وينشغل المسلم في عظائم الأمور والقضايا الكبرى التي سوف تؤثر عليه وعلى أبناءه مستقبل.
- على الدول العربية والإسلامية ضرورة الإهتمام بفقه العواقب من إنشاء مراكز متخصصة في المجالات المختلفة، من أبناء البيئة، ضمن الثقافة التأصيلية الشرعية.
- يجب توفير هامش واسع من الحرية السياسية والإستقلالية حتى يتم تناول مختلف القضايا بشكل حر وأريحي، ولا تقف السياسة عائقا أمام مثل هذه الدراسات.

المصادر والمراجع

ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير، تفسير سورة الجن.

الألباني، ناصر الدين. السلسلة الضعيفة.

أورخان، علي. بديع الزمان النورسي ، الملاحق في فقه دعوة النور .

بدوي،عبد الرحمن.(1977).مناهج البحث العلمي(ط3)، الكويت: وكالة المطبوعات.

برغوث، الطيب، (2006). مدخل إلى سنن الصيرورة الاستخلافية على ضوء نظرية التدافع والتجديد. دمشق:مركز الراية للتنمية الفكرية.

بلكا، إلياس. (2008) الغيب والعقل، دراسة في حدود المعرفة البشرية، ، الولايات المتحدة الأمريكية :فرجينيا:المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

بلكا، إلياس. (2009). الوجود بين السببية والنظام. الولايات المتحدة الأمريكية:فرجينيا:المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

بوشيه، ستيفن و رويو مارتين، (2009). مراكز الأفكار أدمغة حرب الأفكار (ماجد كنج وفترس غصوب، مترجمان).بيروت:دار الفارابي.

تفسير ابن عطية

تفسير القرطبي، دار الفكر

الحامد،أبو بلال عبدالله.(2009). لكي لا يكون القرآن حمال أوجه، المصباح في زجاجة. البحرين.

الخليفة، إبراهيم. (2009). تجديد فهم الوحي. بيروت:الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

الراشد، محمد أحمد.(2005). المنطلق.لبنان:مؤسسة الرسالة.

الراشد، محمد أحمد.(2007). رؤى تخطيطية، سلسة إحياء فقه الدعوة.الرياض:دار الأمة للنشر والتوزيع.

الراشد، محمد أحمد.(2008). عبير الوعي،سلسة إحياء فقه الدعوة. الرياض:دار الأمة للنشر والتوزيع.

الراشد، محمد أحمد.(2011). صورة الحياة، سلسة إحياء فقه الدعوة. الرياض:، دار الأمة للنشر والتوزيع.

المنجرة، المهدي.(2005). الحرب الحضارية الأولى، المغرب: الدار البيضاء:المركز الثقافي العربي.

مورن، إدغر. (2009). إلى اين يسير العالم، ترجمة أحمد العلي. لبنان:الدار العربية للعلوم والنشر.